

فصلية التقد و الأدب المقارن (بحوث في اللغة العربية و آدابها)
كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة رازی - کرمانشاه
السنة الأولى، العدد ٤، شتاء ١٣٩٠ هـ.ش، ١٤٣٣ هـ.ق، ٢٠١٢ م، صص ١٥٣ - ١٧٦

مقارنة بين أبي نواس الأهوازيّ البصريّ و الرودكيّ السمرقنديّ في ضوء خمريّاتهما المادّية*

الدكتور تورج زيني وند

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة رازی - کرمانشاه

الملخص

إنّ هذا المقال، يستعرض قطعة موجزة من تيارات التفاعل الثقافي بين الأدب العربي و الفارسي لدى أبي نواس و الرودكي على مستوى النقد المقارن الفرنسيّ الذي يؤكّد على قضية التأثير و التأثير في ضوء العلاقات التاريخية.

و قد تبين لنا في هذا المجال أنّ الرودكي تأثر في شعره الخمري بسلفه، أبي نواس، من حيث المضامين و الأساليب الشعرية. إلّا أنّ الرودكي قد ابتدع و ابتكر فيهما لابساً إياهما ثوباً جديداً فارسياً يمتاز بالسلاسة و العذوبة و زد على ذلك؛ أنّ المنطلق الشعري لهذين الشعاعين إنّما هو الثقافة الإيرانية ثمّ العربية؛ ذلك لأنهما من أصل إيرانيّ و يبدو أنّ الشعر العربيّ مع تاريخه العريق في شعر الخمر، اقتصر دوره على الوساطة ليس أكثر.

الكلمات الدلّيلية: أبونواس، الرودكي، الخمر المادّية، الشعر العربيّ و الفارسي، الأدب المقارن.

تاريخ القبول: ١٣٩٠/١١/٢٥

* تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٧/٢٠

عنوان بريد الكاتب الإلكتروني: T_Zinivand56@yahoo.com

١. مقدمة

إنّ التاريخ الأدبي أو قُل: التاريخ الإنساني، لم يعرف التقاء أكثر غنىً و شمولاً من التقاء العرب و الإيرانيين على مستويات عديدة و متنوّعة و هذه العلاقات الوطيدة التي يعود تاريخها إلى أقدم العصور، قد برزت منذ البعثة المحمّدية و استمرّت حتّى العصر الحديث في ضوء علاقة قد بُنيت على أساس الرّحمة و التقوى و العدل، لا العرق و الجنس و اللون. و بما أنّ اللّغة العربية كانت لغة القرآن و الدين الجديد، فقد أقبل ابناء الفرس على تعلّمها و إتقانها كأهلها. و في إثر هذه الرّغبة، صار كثير منهم يتقن اللّسانين حديثاً و كتابةً. و من ثمّ أخذوا ينقلون إلى اللّغة العربية جمّاً غفيراً من معارفهم القديمة المكتوبة بلغاتها الأصلية؛ في كافّة المجالات العلمية و الأدبية.

و هنا أرى لازماً على نفسي أن أختار بلاغة الإيجاز في ذكر هذه العلاقات الوثيقة في مجال الأدب؛ و لا يخفى أنّ هي أنّ الحديث عنها بحاجة إلى دراسات كثيرة، عارفاً أنّ بعض المحققين سبقنا إلى ذكر ثنّف منها. و الإيجاز في بيان تلك المشتركات هو أنّ هناك موضوعات أدبية متنوّعة ثمّ تبادلها في الأدبين العربي و الفارسي، أو انتقلت من أحدهما إلى الآخر، ثمّ صارت موضوعاً حديثاً اتّخذت شكلاً رقيقاً على مرّ العصور فتتج عنه فنّ آخر يتّسم بلون عربيّ أو فارسيّ.

و قبل أن أدخل في صميم البحث يلزم عليّ أن أفسّر و أعرف مصطلح «الشعر الخمرى» في صبغته المادية. في الواقع أنّ الغرض من الشّعر الخمرى المادّي هو «فنّ غنائيّ وصفيّ وجدانيّ، يقوم على وصف الشاعر للخمر في لونها و صفاتها و نقائها و لطافتها، و مجالسها و ندمائها، و كؤوسها و أباريقها، و وصف ماتركه في الجسم من خدر، و في النّفس من نشوة و غبطة و ارتفاع فوق الحجب الواقع» (عبد النور، ١٩٧٩: ١٧٣). أو بعبارة أخرى: «في هذا النوع من الشّعر الغنائيّ يصف الشاعر، الخمر، وصفاً يكون في مضمار العين و الحسّ و اللّذة، مستقصياً فيه كلّ ما يتعلّق بمنظورها و مشمولها و مذاقها و تأثيرها في الحسّ، معنياً فيه بذات الخمر و لابسها سواها (صدقي، ١٩٥٧: ١٦٨ - ١٧٠).

و المقصود «المدرسة المادية» - أو الاتجاه المادّي - في هذا النوع من الشّعر الغنائيّ هو مدرسة يتجه فيها الشاعر، إتجاه «المادّة» و «الحسّ». إنّه يضرّم في نفسه نار الغريزة الجسدية إضراماً و يتهتّك في ذكرها و مجونها، مصوراً نشوة تلك اللّذة المادية التي يحسّها بجسمه فصار

ففى إثرها مغرقاً منغمساً، أو مذكراً لتلك اللذة التى لم تخمد و لم تهدأ فصار الشاعر من معانها، صارحاً و صاحباً، ولذلك يصفها باكبياً، بل لاعتناً ساحطاً.

إنّ الشّعر الخمرى فى القرون الأولى لكلا الأديين، العربى و الفارسى، كان محدود الموضوع بحيث لا يتجاوز الوصف المادى بما قيل فيه من اللذة و الحسّ. إنّ «الأعشى» كان إمام هذه الصّناعة فى الجاهلية، و تَمَّن أَلَمُوا بوصفها؛ عدى بن زيد العبادى و عمرو بن كلثوم و طرفة بن العبد. و بعد الجاهلية و رغم بزوغ فجر الإسلام و تحريم الخمر تدرجاً، اشتر بوصفها؛ ابو محجن الثّقفى، و يزيد بن معاوية و الوليد بن يزيد و الأخطل التّغلبى و صريع الغوانسى.

و ما إن جاء العصر العبّاسى حتّى أخذ الشّعراء يميلون إلى وصف الخمر ميلاً، بحيث جعلوا القصيدة العربية وقفاً على هذا الفنّ الشّعريّ أو استهلّوها بتحسين شربها، بدلاً من وصف الأطلال أو التّسبيب أو التّشبيب. يحدّثنا تاريخ الشّعر العبّاسى بأنّ أبانواس هو الذى أفرد فى هذا العصر و لعلّ فى كلّ العصور، بوصف الخمر بما أمعن فى نعتها، و حتّى بلغ ما قال فيها بضعة آلاف من الأبيات. المدرسة الخمرية التى ابتدعتها شاعرنا، صارت نموذجاً مثالياً للشّعراء الخمرين فى كلا الأديين العربى و الفارسى (أنظر: الحاوى، بدون التاريخ: ٩، ٧٩، ٩٧، ١٧٥).

أما الخمر فكانت جزءاً أساسياً من الحياة الأرسقراطية عند الفرس و لكن الشّعرا الخمرى لم يكن لديهم - رغم شيوع الخمر - من البداية غرضاً مستقلاً، بل قد جاء فى ضمن بقية الأغراض الشّعريّة فى أبيات قليلة دون أى توسّع و تنوّع، حتّى تطوّرت العلاقات الثقافية بين العرب و الفرس فأخذ الشّعراء الفرس هذا الغرض الشّعريّ من العرب فوصفوها خاصّة فى تلك المراحل إلى نهاية القرن الخامس و صفّاً مادياً و هم يقلّدون الشّعراء العرب مثل الأعشى و الأخطل و أبى نواس. أبرز الشّعراء الفرس فى هذا الغرض الشّعريّ؛ الرّودكى السمرقندى (أواسط القرن الثالث - ٣١٩ هـ) الذى يعدّ مؤسس الشّعر الخمرى المادى و رائدها فى الشّعر الفارسى، ثمّ الذى بلغ مقام أبى نواس فى الشّعر الفارسى هو أبو النّجم أحمد بن قوص بن أحمد المنوجهرى الدّامغانى (أواخر القرن الرّابع أو أوائل القرن الخامس - ٤٣٢ هـ) صاحب الخمرىات الرّائعة و المتنوّعة (أنظر: رستگار فسالى: ١٣٧٣: ٢٨١).

نحن فى هذه المقالة - التى تعدّ فى حقل الأدب المقارن - بصدد أن نبحت عن أساليب الشّعر الخمرى لدى زعيمه فى الشّعر العربى (ابى نواس) ورائده الأوّل فى الشّعر الفارسى (الرّودكى

السمرقندي (متأملين في مضامينهما الشعريّة المتشابهة و المتباينة، متبينين عن مكاتهما في هذا الشعري. و في البدء و لكى نفضّل في الأمر، لابدّ أن نعرف أسباب نزعتهما الخمرية.

فأما منهجنا في البحث فيلخص فيما يلي:

أولاً: أنّه يقوم على المقارنة بين الشعاعين في اطار الشعري الخمري المادي كالموضوع المحدد الذي يمكن الاستقصاء و التعمق و الوصول الى النتائج الجديدة و المثمرة.

ثانياً: أنّ الباحث يتركز على دراسة الموضوع في ضوء المدرسة الفرنسية للأدب المقارن؛ فهذه المدرسة تدرس الموضوعات الأدبية في ضوء العلاقات التاريخية تأكيداً على جوانب التأثير أو التأثير.

و أما السؤال الأساسي الذي يبحث عنه المقال فهو:

هل «الرودكي» تأثر في شعره الخمري «بأبي نواس» و نزعتة المادية؟

و الفرض الرئيسي الذي يبثه المقال هو:

أنّ «الرودكي» تأثر بأبي نواس و شعر الخمري دون أن ننكر مسألة «التجارب الشعريّة المشتركة» و قضية «التوارد الذهني» بينهما.

و لايفوتنا أن نشير الى أنّ الباحث وقف في مجال الموضوع على بعض الدراسات منها: (غنيمة

هلال، بدون تاريخ: ١٧٥/ ندا، ١٩٩١: ١٣٢/ نجاريان و كهديوي، ١٣٩٠: ٢٥٩-٢٨٠)

و الفرق الأساسي بين هذه الدراسة و تلك البحوث هو أنّي استعرضت الموضوع بصورة شاملة في ظلّ النقد الأدبي الحديث.

٢. عرض الموضوع

٢-١. بواعث نزعتهم الخمرية

٢-١-١. العوامل النفسانية

إن الصلة بين الأدب و النفس لا تحتاج إلى اثبات؛ النفس تصنع الأدب، ولذلك يصنع الأدب النفس، النفس تجمع أطراف الحياة لكي تصنع منها الأدب، والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيء جوانب النفس و النفس التي تتلقى الحياة لتصنع الأدب هي النفس التي تتلقى الأدب لتصنع الحياة. في الواقع أنّهما دائرتان لايفترق طرفاهما إلا لكى يلتقيا، و هما حين يلتقيان، يضعان حول الحياة إطاراً فيصنعان لها بذلك معنى. إذن نستنتج أنّ الأدب يستمدّ من النفس كما أنّ النفس تستمدّ من الأدب، و العلاقة بينهما علاقه تبادل من التأثير و التأثير (اسماعيل، ١٩٨٨: ١٣)

٢-١-١-١. ابونواس الأهوازي البصري

أولاً: أن الخطيئة الأولى في شخصيّة ابي نواس، كانت خطيئة التّربية و النشأة إذ لم يشعر بجوّ البيت و صرامة الوالد، كما أن والدته أهملته و جعلته يستطلع الحياة و يتدرّب على العيش فيها بأسلوبه الخاصّ، فانحرف في صباه و انحرفت حياته جميعاً (الحاوي، بدون التاريخ: ٢١١).
ثانياً: أن حبّه للجارية «جنان» تمثّل عقدة مزدوجة في نفسه فهذه الجارية تعذّبه بصدودها و ربّما احتقارها، و لو قدّر لأبى نواس أن يحظى بحبّ جنان، لأنطفأت جذوته، و لعدا أمره في الحبّ كأمر النّاس جميعاً. هكذا يقول شاعرنا في وصف جنان؛

شَهِدْتُ جَلْوَةَ الْعُرُوسِ جِنَانُ فَاسْتَمَأَلْتُ بِحُسْنِهَا التَّنْظِيرَ
حَسَبُوهَا الْعُرُوسَ حِينَ رَأَوْهَا فَإِلَيْهَا دُونَ الْعُرُوسِ الْإِشَارَةَ
قَالَ أَهْلُ الْعُرُوسِ، حِينَ رَأَوْهَا مَا دَهَانَا بِهَا سِوَى عَمَارِهِ (الخفيف)

(ابونواس (الغزليات)، ١٩٨٦: ١٢٧)

ولكن العاطفة الجنسية أو «العقدة التّرجسية» بقيت لديها متأججة فتحوّل بها عن المرأة إلى الرّجل بحيث ملأ ديوانه بالغزليات الغلمانية مكشفاً فيها عن ولعه بالتّهتك و المحون، مسرفاً لها في حياته أيّما إسراف، منادماً مع الخلفاء، متأثراً بائمة الخلاعة و المحون كأمثال والبة بن الحُبّاب و مطيع بن إياس و حسين بن الضحّاك و حمّاد عجرد (العقاد، ١٩٦٨: ٣٣).
و هنا نعرض نموذجاً و هو يتغرّز بساقيه الفتى القبطي المصري يصفه بأنّه بديع الخلق، لطيف الخصر كالفرس الرّبيط؛

بَدِيعِ الْخَالِقِ مَوْفُورِ الْخُطُوطِ لَطِيفِ الْخَصْرِ كَالْفَرَسِ الرَّبِيطِ (الوافر)

(ابونواس (الغزليات)، ١٩٨٦: ٣٠٩)

ثالثاً: كان ابونواس، حسن الوجه، رقيق اللّون، أبيض، حلوالشمائل، و كان في رأسه سماحة و تسفيط حيث كان يسدله على وجهه و قفاه، و كان أثلغ يجعل الرّاء غيناً، نحيفاً، في حلقه بحةٌ لا تفارقه، و طالما كان يتغنّى بها، و يعبر عن ملاحظته (ابن منظور، ١٩٢٧: ٦).

و قد جاوز الشباب في هذين البيتين:

تُتْبِيهِ عَلَيْنَا إِنْ رُزِقْتَ مَلَاحَةً فَمَهْلًا عَلَيْنَا بَعْضَ تَيْهَكَ يَا بَدْرُ

فَقَدَ طَالَمَا كُنَّا مَلَا حَا وَرُبَمَا صَدَدْنَا وَ تَهْنَأُ تَمَّ غَيْرَنَا الدَّهْرُ (الطويل)

(ابونواس (الخمريات) (١٩٨٦ : ١٠٧))

و هذه صورة لفتى فيه مظاهر البياض و الرقة و التعمومة و الملاحة و الشّعر المتهدلّ، و هي أشبه ماتكون بملامح الفتى نرجس الذي حنا على الجدول فاستحال نرجسته، و اتخذه الأسطوريون اليونان، نموذجاً للجمال المفتون بحاسنه (العقاد، ١٩٦٨ : ١٦، ٧٨، ٧٩).
 رابعاً: هويعاني من جهله لسرّ نفسه و سرّ الكون، فهولاييفك يشكّك في ذكر الدين و القيامة و الأوامر و التواهي و ما أشبهه، مصوراً تنازع الإنسان مع اليقين:

أَحْلِي وَ أَجَلٍ مِّنْ تَنْظُرٍ آجِلٍ عِلْمِي بِهِ ضَرْبٌ مِّنَ الْأَسْوَارِ
 مَا جَاءَنَا « أَحَدٌ يُجْبِرُ أَنَّهُ فِي جَنَّةٍ مِّنْ مَاتَ أُمَّ فِي نَارٍ » (البيسط)

(ابونواس (الخمريات)، (١٩٨٦ : ١٢٧))

تلك كانت البواعث الجوهرية التّفسية التي أثرت في نفسية أبى نواس فجعلته مرّة يشرب الخمر و يتعبدها و مرّة جعلته رجل البؤس و الحرمان لاجئاً إليها لعله ينسى همومه. فلأجل هذا تعدّد خمرياته مرآة صادقة تنعكس عليها نفسية الشاعر الماحنة.

٢-١-١-٢. الرّودكي السمرقندي

أولاً: أنّه سُمّي «شاعر روشن بين» يعنى «الشاعر البصير». و هذا يدلّ على أنّه يعانى من ذلك الواقع الأليم الذى يعانى منه «الأعشى». يشير ناصر خسرو قبادياني البلخى (٣٩٤-٤٨١ هـ. ق) إلى هذا النقص لدى شاعرنا، حيث يقول:

اشعار زهد و پند بسى گفتست آن تيره چشم شاعر روشن بين (المضارع)

(رودكي سمرقندي، ١٣٣٦ : ٣٩٣)

إذن ليس بعجيب أن يعاقرها هرباً من هذا الواقع الأليم كما قيل في الأعشى الجاهلي و إن لم يكن مكفوف البصر منذ ولادته (أنظر: رودكي سمرقندي، ١٣٣٦ : ٤٠٥).

ثانياً: شعره يبيّن قلق الإنسان الذي تحيّر بين حقائق المصير و التّصرف، يتأملها و يحدّق فيهما لكنّه لا ينفذ منها إلى يقين دائم، فيتردّى في المحون و العبث و يطلب كأساً التي ليست كأس خمرة و إنّما هي كأس سلوة:

باد و ابر است اين جهان، افسوس باده پيش آر، هر چه شد بادا باد (الخفيف)

(نفسه: ١٠٧/٤٩٥)

ثالثاً: أنّ شاعرنا قد بلغ في نفسيته - مثل أبي نواس - إلى أنّ الخمر تمبّ الإنسان الشرف و الكرم و كذلك التّجيب يشتري من غاليتها:

مَيَّ آرَد شَرَفِ مَرْدٍ، مَيَّ پَدِيدِ آزاده نژاد از درم خريد (المضارع)

(نفسه: ٢٢١ / ٤٩٩)

و يبدو أنّ الشّاعر يترجم هذا البيت من أبي نواس حيث قال:

فَإِنَّ الْكِرْمَ مِنْ كَرَمٍ وَجُودٍ وَ مَاءَ الْكِرْمِ لِلرَّجُلِ الْكَرِيمِ (الوافر)

(ابونواس (الخمريات)، ١٩٨٦: ٣٤٥)

رابعاً: يبدو أنّ الخمر كانت مادةً لهو و عبثه يعلّها للتسلية خاصة حين يقول «إنّ الخمر المشعشة و التّداور و المرأة الحسناء، رغم ندورها مازالت حاصلة علىّ متى ما أردتها»:

نبيذ روشن و ديدار خواب و روى لطيف اگر گران بد، زى من هميشه ارزان بود (المحت)

(رودكى سمرقندى، ١٣٣٦، (الباب الأوّل): ٢٠٥/٤٩٩)

٢-١-٢. البواعث الاجتماعية و الثقافيّة و الدّينية و السّياسيّة

الحضارة و الرّخاء ممّا يؤثّر في الذّوق و يزيد في الصّور و المناظر و ينوّع في معاني الآداب و أغراضه، و أثر الثقافة و العلم يكون في ترقية العقل و تقوية الشعور و تنمية التّصور كما أنّ للدين و ما يتّصل به من أخلاق و معتقدات، تأثيراً كبيراً في الآداب؛ فإنّه يخلق موضوعات جديدة و يؤثّر في الأخلاق و العواطف تأثيراً يتردّد صدها في مناحي الأدب، و للنظام السياسي أيضاً أثر بالغ في خلق فنون من الأدب أو إزدهار بعض ألوانه أو انحطاط بعضها (خفاجي، ١٩٨٢: ١١).

النّواديّ فارسيّ الأصل، لكنّه عربيّ المربع. إنه عاش في عصر وصل مجتمعه من استهتار بالمعاصي و إستهزاء من الدين بسبب انتشار البدع، إلى ذروة الفسق و الفجور. يتناول ابونواس في تصوير عصره بما ابتلى به عصره من خلاعة و مجون و فتك و بما عرف به من ثقافة و فنون، و ما فيه من تفاعل بين الحياة و الأدب. شعره يحمل لغة الجوّاري و الغلمان بتختنّها و ظرفها؛ و لغة الخمارين و الجّان و أخبارهم و معابثهم، كما يعدّ أصدق صورة لمجالسته مع «هارون الرّشيد» و

«الأمين» وغيرهما من الوزراء و الحكام و الأمراء الذين عاشوا في فساد سياسي سافر (البستاني، ١٩٨٦، ج ٢: ٩٠).

أما أبو عبد... جعفر بن محمد الرّودكي السمرقندي؛ فولد في قرية «بنج» من قراء رودك - من ضواحي سمرقند - و ما مرّ من حياته شيء حتّى أعجب به الأمراء و الشعراء من فنّه و تبحّره في الموسيقى و التّعني بالشّعر. الأخبار و الأشعار التي جُمعت فيه، تدلّ على أنّه كان كثير التّنقل بين بلاط الأمراء و الحكام يحضر في مجالسهم و يجلس مع الحصان و الخمارين، بحيث ينشد أشهر حمرياته (مادرمي = أمّ الخمر) في مجلس الأمير «سعيد بن نصرأحمد بن اسماعيل (٣٣١ - ٣٥١ هـ) بمناسبة انتصار «أبي جعفرأحمد بن خلف بن الليث» المعروف به «بانويه» على الأمير، «ماكان بن كاكي» (صفا ١٣٧١، ج ١: ٣٧٢ - ٣٧٥). مطلع هذه القصيدة التي تعتبر من أمّهات الشّعر الفارسي هو:

مادر مّي را بكرد بايد به قربان بچه او را گرفت و كرد به زندان (المضارع)

(رودكي سمرقندي، ١٣٣٦، (الباب الأوّل): ٥٠٦ / ٣٥٩)
فضلاً عمّا قلنا فيه، قيل أنّ شاعرنا ينتمي إلى القرامطة استناداً إلى ما قال معاصره «الشّهيد البلخي». هذا المذهب الذي عدّد في عداد الزنديق، قد بُني على تفسير محرّر من الدّين والعقائد الدّينية و ربّما له أثر في نزعه الخمرية (أنظر: نفسه، «المقدّمة»: ١٤).
فهذه نبذة لحياة من عاش في جوّ من الفساد و الفسق و الفجور و اللّاديني، فليس بدع أن يهرب من واقع الحياة إلى سكرها ولذاتها. ولو بقي لنا شيء كثير من أشعاره لكنّا نستطيع أن نقارن بينهما أكثر - كما يقول زرّين كوب، ١٣٦٢: ١٥ - من الآن.

٢-٢. وقفة تحليلية و تطبيقية مع الموضوعات

٢-٢-١. جوهر الخمر المادي

إذا أنعمنا النّظر فيما جاءت في ديوانيهما، يفتح لنا البحث موضوعاً مهمّاً و هو أنّ هذين الشاعرين يتحدّثان عن جوهر الخمر المادي - خاصّة عند النواصي - مغايراً لما كان معروفاً عند الآخرين. الخمر عند أبي نواس يمثّل جوهرها جوهر الضياء و هي تمتزج به فتتولّد الأضواء و الأنوار:

فَلَوْ مَزَجْتَ بِهَا نُورًا لَمَازَجَهَا حَتَّى تَوَلَّدَ أَنْوَارٌ وَأَضْوَاءُ (البسيط)

(ابونواس (الخمريات)، ١٩٨٦: ١٠)

و هذا الرّودكى السمرقندى الذى يقارن بين جوهر الخمر و العقيق و هو يفضّل جوهرها على العقيق في وسط تعزف فيه الموسيقى، هكذا:

رودكى، چنگ بر گرفت و نواخت باده انداز، كو سرود انداخت
زان عقيق ميبى كه هر كه بديد از عقيق گداخته نشناخت
هر دو يك گوهرند، ليك به طبع اين بيفسرد و آن دگر بگداخت
نابسوده، دو دست رنگين كرد ناچشیده به ترك اندر تاخت (خفيف)

(رودكى سمرقندى، ١٣٣٦، (الباب الأوّل): ٤٩٣ / ٤١ - ٤٤)

٢-٢-٢. الخمر و اللذة

بعد الاسترسال في الحديث عن جوهر الخمر المادّي فالمقام هنا يقتضى أن نتوقّف للحديث عن إحدى الخصائص العامّة التي تميّز بها هذه المدرسة (المدرسة المادّية) و هي اللذة المادّية. في الحقيقة أنّ أولى خصائص الشّعْر الخمرى وأبرزها، هي مايقوم الشاعر بوصف الخمر وصفاً يكون في إطار الحسّ و اللذة، مستقصياً فيه كلّ ما يتعلّق بمنظورها و مشمولها و مذاقها و تأثيرها في الجسم، معنياً فيه بذات الخمر لا بشيء سواها.

في هنا نستمتع إلى « عبيد الخمر » و إلى من عُرِفَ بها و عُرِفَ به يعنى زعيم المدرسة المادّيين، ابى نواس، حيث يقول: « ماالجهل كلّ الجهل إلى أن يرى صاحياً و ما العيش الكرم إلّا أن يرى يلدّ و يسكر »:

فَمَا الطَّيْشِ إِلَّا أَنْ تَرَانِي صَاحِيَا، وَ مَا الْعَيْشِ إِلَّا أَنْ أَلِدَّ، فَأَشْكُرَا (الطويل)

(ابونواس (الخمريات) ١٩٨٦: ١٧٥)

و يقول شاعرنا، الرّودكى السمرقندى؛ أيّها السّاقى ! هات الرّاح و غنّ يا مطرب ! لنحتسى الخمرة و حان لنا وقت الطّرب و اللّهُو:

ساقى ! تو بده باده و مطرب تو بزَن رود تا مى خورم كه وقت طرب ماست (الهمزج)

(رودكى سمرقندى، ١٣٣٦، (الباب الأوّل): ٤٩٣ / ٧٢)

٢-٢-٣. الخمرة و الموت

إنَّ رغبة الشعراء الماديين في الخمر، قد أدّتهم إلى تفاسير مختلفة عن الحياة و الموت. أمّا الأغلبية الساحقة فيرون الحياة كلّها فرصة للذة و التّنعّم، لا بدّ للانسان أن يتنعّم بما تنعمّأ؛ لأنّها تمرّ مرّ السحاب و الخمرة وسيلة لشفاء هذا الهمّ و نسيانه.

فترى ابونواس يوصي خليله بأن لا يحفرا قبره إلّا « بقطربل » حيث الكروم الكثيرة و المشهورة بجودة خمورها وأن يدفن بين المعاصر و أن لا يدنى من السنبل فلعّله في رقاده يسمع أصوات الأرجل و هي تعصر الخمرة :

خَلِيلِيَّ بِاللّهِ لَا تَحْفِرَا لِي الْقَبْرَ إِلَّا بِقَطْرَبُلٍ
خَلَالَ الْمَعَاصِرِ بَيْنَ الْكُرُومِ وَلَأْتُدْنِيَانِي مِنَ السَّنْبَلِ
لَعَلِّي أَسْمَعُ فِي حُفْرَتِي إِذَا عُصِرَتْ، ضَجَّةَ الْأَرْجُلِ

(ابونواس) الخمریات (، ١٩٨٦: ٢٩٣)

فيقول شاعرنا، الرودكي السمرقندي، هو يتحدّث عن إباداة الحياة متحيراً عن الموت؛ كلنّا نحتسي الروح و نستريح بعدها طيبين، لكنك تسكن في قعر الثرى دون خليل و من مات لا يجيى (لا يعود) مرّة أخرى:

ما همه خوش خورديم و خوش خسييم تو در آن گور تنگ تنهايى
نه چنان خفته اى كه برخيزى نه چنان رفته اى كه باز آيى (الخفيف)

(رودكي سمرقندي، (١٣٧٣) (رباعيات): (١٧٨)

٢-٢-٤. الخمرة و الهمّ

يبدو أن أكثر الشعراء الخمرين يلجؤون إلى الخمر بسبب عوامل مختلفة و من جملة هذه العوامل و لعل أهمها هي أنّهم يستخدمون الخمر للهروب من الواقعيات السائدة على حياتهم الفردية أو الإجتماعية، بحيث تصبح الحياة في مذهبهم ذهولاً عن همومها و شقاواتها عن طريق الانغماس فى اللذة حتّى تتخدر أعصابهم مذهلين عن الحياة و مالها.

وإنّ من يلقي النظر إلى خمريات أبي نواس يلاحظ أنّ شاعرنا كثيراً ما يرى أنّ الخمره تسلب الهموم و تعير القلب حلّة من السرور؛ إنّه يراها (الخمر) نعم وسيلة يستخدمها صاحب الهمّ للتفريج عن همّه:

نَعِمَ سِلَاحُ الْفَتَى الْمَدَامُ إِذَا سَاوَرَهُ الْهَمُّ، أَمْ بِهِ جَمَحًا (المنسرح)

(ابو نواس (الخمريات)، ١٩٨٦: ١٠٠)

ويقول الرودكي السمرقندي؛ لنا الخمر و التّدبم و قصر كالإرم ذات العماد، بعيدين عن الهمّ و الحزن و إن كان هناك غمّ، فلأعداء:

مَى هَسْت، و ارم هَسْت، و بت لاله رخان هَسْت

غَم نِيَسْت، گَر هَسْت، نصيب دل اعداست (الهرج)

(رودكى سمرقندى، ١٣٣٦، (الباب الاول): ٧٣/٤٩٤)

٢-٢-٥. الخمر و الدين

كلاهما يشيران إلى الدين و ما يتعلّق بالأحكام الدّينية حول الخمر: إنّ ابانوس رغم اطلّاعه عن تحريم الخمر، فيرى اللذّة فى الحرام و شرب الخمر ولا يترك مجالاً للعدول فإذا سئل عنه: هل الخمر حرام أم لا؟ يقول: نعم! حرام و لكن اللذّة تكمن فى الحرام:

- ابونواس: وَإِنْ قَالُوا: حَرَامٌ؟ قُلْ: حَرَامٌ وَلَكِنَّ اللَّذَاذَةَ فِي الْحَرَامِ (الوافر)

(ابو نواس (الخمريات)، ١٩٨٦: ٣٦٧)

و هذا هو الرودكي يفرح لذّهاب شعر الصّيام و اقبال العيد الذى يجد فيه ما يطلب:
الرودكى:

شد روزه و تسييح و تراويح به يك جاى عيد آمد و آمد مي و معشوق وملاهي (الهرج)
(رودكى سمرقندى، ١٣٣٦، (الباب الاول): ٥١٣ / ٥٥٨)

٢-٢-٦. الخمر و اللوم

فهذه المسألة صارت الموضوع الغالب فى جميع قصائد هما خاصّة فى شعر أبي نواس: يقول ابونواس و هو يخاطب النّظام المعتزلى الذى لامه على شرب الخمر: إنّ إدمان الخمر و ما تهيجه فى النفس من الرّغبة الملحة فى شربها هو نفسه داء يتداوى منه بالشرب فمهما ازاد لومه ازدادت رغبته إلى احتساء الخمر:

دَع عَنْكَ لَوْمِي، فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ وَدَاوِي بِالْتَسَى كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ (البيسط)

(ابو نواس (الخمريات)، ١٩٨٦: ٩)

و نرى الرودكي يقول عن هؤلاء العدّال الذين يسمّونه بالجنون وقلة الأدب ثمّ يردّ عليهم بأنّه ليس من المجانين بل هو من السكارى:

ديوانگان بيهشمان خوانند ديوانگان ني ايم، كه مستانيم (المضارع)

(الرودكي سمرقندي، ١٣٣٦، (الباب الاوّل): ٥٠٥/ ٣٥٤)

٢-٢-٧. الخمرة و تأثيرها

كلاهما يصفان تأثير الخمرة كما تشاهدها العين و تتلمّسها سائر الحواسّ؛ يقول ابونواس: فهذه الخمرة أينما حلّت يجلّ السرور و تطرد الأحزان و لو أنّها وضعت على حجر لرأيته يهتز انشراحاً:

صَفْرَاءُ، لَأَتَزَلُّ الْأَحْزَانَ سَاحَتِهَا لَوْ مَسَّهَا حَجْرٌ، مَسَّتُهُ سَرَاءُ (البيسط)

(ابونواس (الخمریات)، ١٩٨٦: ٩)

و يقول الرودكي: لورای ملک شیئاً مثل ما رأى شاعرنا فى المجلس من السماع و الخمرة الوردية والساقية الجميلة، لسقطت اضطراباً واشتياقاً، فى البئر:

سماع و باده گلگون و لعبتان چو ماه اگر فرشته بیند در افتد در چاه (الجنث)

(رودكى سمرقندي، ١٣٣٦، (الباب الاوّل): ٥١٠ / ٤٨١)

و يرى نفسه حين يشربها فرحاً واميراً، بل متفوقاً عن الأمير:

بسا كه مست در اين خانه بودم و شادان چنانك جاه من افزون بدازامير ملوك (الجنث)

(نفسه: ٥٠٤ / ٣٢٧)

٢-٢-٨. وصف شعاع الخمرة

وصف شعاع الخمرة كان امراً متداولاً من الجاهلية إلى اليوم؛ يقول ابونواس: إنّها حمرة صافية تنسب إلى الحيرة و هي مثل شعاع الشمس تترك مشعة فى الكأس كالتار المتوقدة:

حِيرِيَّة، كُشْعَاعِ الشَّمْسِ، صَافِيَّةٌ يُحِيطُ بِالْكَأْسِ مِنَ الْأَثْنِهَا شَعْلُ (البيسط)

(ابونواس (الخمریات)، ١٩٨٦: ٣٠٦)

و هذا هو الرودكي يقول: هاتنسى تلك الخمرة الّتي تظنّها كالباقوت الخالص أو تصوّرها

كشعاع الشمس الوهاج:

بياران مي كه پنداری روان یاقوت نابستی

و یا چون برکشیده تیغ پیش آفتابستی (المرج)

(رودکی سمرقندی، ١٣٣٦، (الباب الاول): ٥٠٣ / ٥١١)

٢-٢-٩. وصف ریح الخمره

إنّ وصف الطيب الریح من الخمره التي تؤدّي إلى النشاط و السرور، يعدّ موضوعاً مشتركاً في شعر التّواسي و الرّودكي؛ يقول شاعرنا، ابونواس: لا تأبه و لا تحفل بأىّ لاح أو لائم لشربك خمره مبرّده بريح الشمال:

لَا تَحْفَلَنَّ بِقَوْلِ الرَّاجِرِ اللَّاحِي وَ اشْرَبْ عَلَيَّ الْوَرْدِ مِنْ مَشْمُولَةِ الرَّاحِ (البيسط)

(ابونواس (الخمریات)، ١٩٨٦: ١٥٤)

و كذلك الرودكي يقول: لو شمت هذه الخمره لتفوح منها رائحة الورد الأحمر و المسك و

العنبر بحيث تظنّ أن الوردة الحمراء قد أعطت هذه الميزات كلّها إليها:

ورش بيوي، گمان بری كه گل سرخ بوی بوداد و مشک و عنبر با بان (المضارع)

(رودکی سمرقندی، ١٣٣٦، (الباب الاول): ٣٣٧ / ٥٠٦)

٢-٣. خصائص أساليبيهما الشعريّة

٢-٣-١. التقليد و التجديد

إنّ أبانواس يحنّدي و يجاري في أسلوبه فحج الأعشى و الأخطل و مسلم بن الوليد و الآخرين من الشعراء العرب، كما أنّ الرّودكي - من الأحيان - يحنّدي حذوهم من حيث المضامين و الأساليب لكنّهما (ابونواس و الرودكي) ألبسا عليهما (المضون و الأسلوب) ثوباً جديداً يمتاز بالإبداع و الابتكار بحيث يطلق على شعرهم؛ أسلوب أبي نواس و أسلوب الرّودكي.

أمّا من حيث التجديد فإنّ شاعرنا، أبانواس، لا يستهّل قصائده الخمرية - مثل الأعشى و الأخطل و مسلم بن وليد - بالوقوف على الأطلال و الدّمن و لا يبيكي لمترلة «كانت تحلّ بها هند و أسماء» بل يختصّ قصائد مستقلة بالخمّر و يبيكي «لتلك» (الخمره) و يرى «قبحاً» أنّ «تبنّي الخيام لها» و «و أنّ تروح عليها الإبل و الشاء». إنه في هذا المجال يعدّ زعيم الشعراء الخمريين في الأدب العربي بحيث عرفت الخمره به كما عرف بها.

أما الرودكي السمرقندي فمقامه في التجديد الشعري كمقام أبي نواس؛ لأننا لا نجد شاعراً فارسياً قد وصف الخمرة قبله نحو هذه الرقة و السلاسة. إنه يمزج بين الخمر و المديح و الغزل و الحكمة، لكنّه من الأحيان يصف الخمرة وصفاً مستقلاً يميّز بالعدوبة و الرقة، خاصة حين يشخص و يكثر من «الصنعة الوجدانية» التي لا يحسّ القارىء أنّها صنعة؛ و تتصاعد من ألفاظه و قوافيه موسيقى ساحرة تمتدّ توجّحاتها في النفس، و هو يضارع في موسيقاه، الأعشى، صنّاعة العرب. و يكفينا أن نعلم؛ أنه لو يعدّ ابونواس زعيم الشعراء المتجدّدين في العصر العباسي، فإنّ الرودكي يعدّ زعيم الشعّر الفارسي و رائده على الإطلاق.

٢-٣-٢. المبالغة في أوصاف الخمر

من ينعم التّظر في شعر أبي نواس و الرودكي يرى أنّ كلا الشاعرين - خاصة أبي نواس - ينظران إلى الخمرة نظرة الحبّ و العبادة و التّقديس؛ إذن ليس بعجيب أن نراهما مبالغين في أوصاف الخمر. فهذا هو ابونواس الذي يبالغ في وصف الخمرة و مخاطباً الخمار قائلاً؛ أوضح لي كيف جئت هنا في هذا الليل المظلم؟ فقلت له: ترفّق بي فأتني رأيت الصّبح يطلع من دياركم. فأجاب: صبح؟! وما الصّبح الذي تتحدّث عنه سوى صبح ضوء الخمرة ثمّ قام فسدّ فمّ العقار فاحتفى الضّوء، و عاد الليل يرخي سدوله:

فَكَانَ جَوَابُهُ أَنْ قَالَ: صُبْحٌ! وَلَا صُبْحٌ سِوَى ضُوءِ الْعُقَارِ
وَقَامَ إِلَى الْعُقَارِ فَسَدَّ فَاهَا فَعَادَ اللَّيْلُ مُسَوِّدًا الْإِزَارَ (الوافر)

(أبونواس (الخمريات) ١٩٨٦: ١٧)

و يقول الرودكي السمرقندي؛ لوسقطت قطرة من تلك الخمرة في نهر «نيل» لسكرت جميع حيطانها و لو شرب الغزال منها قطرة واحدة لصارت أسداً لا تخاف من النّمر:

ز آن می که گرسر شکی از آن در چکد به نیل صد سال مست باشد از بوی او هُنگ
آهو به دشت گر بخورد قطره ای از او غرنده شیر گردد و ننديشد از پلنگ (المضارع)

(رودکی سمرقندی، ١٣٣٦، (الباب الأوّل): ٥٠٤/٢٣١)

٣-٤) استخدام الأسلوب القصصي

و من الأساليب المشتركة في شعرهما هي أنّهما يعتمدان على «الأسلوب القصصي» في إعراض وصف الخمر مذكرين تفاصيلها بأدقّ شكل، مراعين فيها «الوحدة العضوية و الموضوعية» كعنصرين أساسيين هامّين.

و هنا نعرض لقصيدة خمريّة من أشعار أبي نواس في هذا الباب، و نذكر هذه القصيدة التي لها أثر كبير في شعر الرودكي السمرقندي و المنوجهري الدامغاني تأكيداً على أنّ ابانواس قد نقل مضمون هذه القصيدة من الثقافة الفارسية إلى الشعر العربيّ:

يا خاطَبَ القَهْوَةِ الصَّهْبَاءِ يَمْهَرُهَا	بِالرَّطْلِ يَأْخُذُ مِنْهَا مِلاَهُ ذَهَبَا
قَصَّرْتَ بِالرَّاحِ فَاحْذَرُ أَنْ تُسَمِّعَهَا	فِيحْلَفَ الكَرْمُ أَنْ لَا يَحْمِلَ العِنْبَا
إِنِّي بَدَلْتُ لَهَا لَمَّا بَصُرْتُ بِهَا	صَاعاً مِنَ الدَّرِّ وَ الباقوتِ مَا تُقْبَا
فَاسْتَوْحِشْتُ وَبَكَتُ فِي الدَّنِّ قَانِلَةً	يَا أُمُّ وَيْحَكَ أَخَشَى النَّارَ وَ اللّهِبَا
فَقُلْتُ لَا تَحْذَرِيهِ عِنْدَنَا أَبَداً	قَالَتْ: وَلَا الشَّمْسَ قُلْتُ الحَرُّ قَدْ ذَهَبَا
قَالَتْ فَمَنْ خَاطَبِي هَذَا فَقُلْتُ أَنَا	قَالَتْ فَبِعَلِي قُلْتُ المَاءُ إِنْ عَذْبَا
قَالَتْ لِقَاحِي فَقُلْتُ التَّلْجُ أبردُهُ	قَالَتْ فَبَيْتِي فَمَا أَسْتَحْسِنُ الحَشْبَا
قُلْتُ القَنَانِي وَ الأَفْدَاحُ وَ لَدَهَا	فِرْعَوْنُ قَالَتْ لَقَدْ هَيَّجَتَ لِي طَرَبَا
لَا تُمَكِّنَنِي مِنَ العَرَبِيدِ يَشْرِبُنِي	وَلَا اللّيمِ الَّذِي إِنْ شَمَّنِي قَطْبَا
وَ لَا المَجُوسِ فَإِنَّ التَّارَ رَبَّهُمْ	وَلَا اليَهُودِ وَ لَا مَنْ يَعْبُدُ الصُّلْبَا
وَ لَا الأَرَاذِلَ إِلَّا مَنْ يُوقِّرُنِي	مِنَ السُّقَاةِ وَ لَكِنْ اسْقِنِي العَرَبَا
يَا قَهْوَةَ حُرِّمْتَ إِلَّا عَلَيَّ رَجُلٍ	أَثَرِي فَأَتَلَفَ فِيهَا المَالَ وَ النِّشْبَا

(أبو نواس، (الخمريات)، (١٩٨٦: ٥٢٦)

إنّ شاعرنا هنا لا يكتفى بوصف الخمر - مثل الأعشى: أنظر: ديوانه ١٤١٤ - بل يجسّد ها و يشخصّها، أو قل: يجعلها كائناً يتحرّك و يغضب و يشعر و هو يبذل في سبيلها الغالي و الرّخيص، و يقدّم لها التّكريم و الإجلال، ثمّ يعقد هذا الحوار بينه و بينها، ثمّ تطلب منه أن يمنع المتهتّك و اللّيم و المجوس و غيرهم من شربها (أنظر: نورالدين، ٢٠٠٠: ٤٢٩)

ويبدو أنّ «الرّودكي السمرقندي» - و منوجهرى الدامغاني أيضاً: (الدّامغاني ١٣٤٣ : ١٥٦ - ١٤٣) قد اقتبس عن هذا الأسلوب حيث يتطرق في قصيدته «مادر مى = أمّ الخمر» إلى وصف الخمر. إنّ هذه القصيدة التي تعتبر من أمّهات الشّعر الفارسي تتحدّث الشاعر فيها عن كيفية صنع الخمره حين يأتي الخريف و يجتنى العنب و يجعل في الخمّ لكي يبلغ مبلغ الشّرب. ألاترون كيف يجعل شاعراً - أو قل: كيف يشخّص و يجسّد - من شجرة العنب، أمّا قدسرق طفلها (العنب) ثمّ قبض عليه بالسّجن سبعة أشهر يحرس منها رجل قويّ حتّى يريد الطفل أن يستيقظ و هو يقلي على النار! ثمّ بعد نضحها يفتح بابها و هي في اللّون كياقوت حمراء أو عقيق يمانى، و في الطّيب كالمسك أو وردة حمراء و في الجلاء و الصّفاء كالشمس المنيرة:

ماد مي را بکرد بايد به قربان	بچه او را گرفت و كرد به زندان
بچه او را از او گرفت ندانسی	تاش نكویی نخست و زونكشی جان
جز كه نباشد حلال دور بکردن	بچه كوچك ز شیر مادر و پستان
تا نخورد شیر هفت مه به تمامی	از سر أردی بهشت تا بن آبان (المضارع)

(رودكي سمرقندي، ١٣٣٦، (الباب الأوّل): ٣٥٩/٥٠٦-٣٦٢)

بادىء ذى بدء، يبدو أنّ شاعرنا، الرّودكى، قد تقلّد هذا الأسلوب القصصي عن الشّعر العربي عامّة و شعراى نواس خاصّة. لكنني في هنا أتفق مع «آذرتاش آذرنوش» فيما ذهب إلى خلاف ذلك و يعتقد إلى أنّ اختلاط دم ابى نواس بالدم الفارسي في مثل هذا القصائد التي يقصّ فيها شاعرنا كيفية صنع الخمره (أنظر: آذرنوش، ١٣٧٣، ج٥: ٣٣/نفسه، ١٣٨٥، ج٦: ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٧). والدليل على ذلك هو:

١. أنّ هذا الأسلوب القصصي الذي يحفل بألوان الحضارة والثقافة، يدلّ على معالم الحضارة الايرانية و مشاركة الثقافة الايرانية في بناء الحضارة العربية- العباسية في اشكالها المختلفة والمتنوعة.

٢. إنّنى لم أقف على شاعر عربي منذ الجاهلية إلى بداية العصر العباسي، يتخيّل قصة شعرية في كيفية صنع الخمره مثل إبى نواس و أظنّ - و هذا الظنّ أقرب إلى اليقين - أنّه قد

ورثه عن الثقافة الفارسية التي لها دور عظيم في بناء الحضارة الإسلامية ثم نقلها إلى الشعر العربي.

٣. استعمال هذا الأسلوب في شعر «ابى الشّيص» الذي كان معاصراً و صديقاً لإبى نواس تعزّز رأينا السابق، في تقليد الشعراء العرب عن الثقافة الفارسية و هذا هو يقول على نهج «ابى نواس» في قصيدته «أشاقك و اللّيل...»:

عُرابٌ يَنوحُ عَلَي غُصْنِ بَانِ	أَشاقَكَ وَاللَّيْلَ مُلقَى الجِرانِ
وَلَا اسْتامَها الشَّرْبُ فِي بَيْتِ حانِ	وَ عَذراءُ لَمْ تَفترِعْها السُّقاةُ
وَلَا وَسَمَتْها بِنارِ يَدانِ	وَ لَا احتَلَبْتَ دَرَّها أَرَجُلُ
ضُرُوعٌ يَحْفُ بِها جَدولانِ	وَ لَكِنْ غَدَتْها بِأَلبانِها
وَ أَهدى الفِطامَ لَها المُرْضَعانِ	إِلَى إِنْ تَحَوَّلَ عَنها الصِّبا
بِصِغَتْها فِي بَطونِ الدَّنانِ	فَلَمْ تَزَلِ الشَّمْسُ مَشغولَةً
إِلَى أَنْ تَصَدَّى لَها السَّاقيانِ	تُرْشِحُها لِلشَّامِ الرِّجالِ
صُدُوفٍ عَنِ الفَحْلِ بَكَرِ عَوانِ	فَفَضَّ الحَوائِمَ عَن جَوْنَةٍ
مُضَمَّخَةَ الجِلدِ بِالرَّغْفَرانِ (الطويل)	عَجُوزِ غَدَا المِسْكَ أَصْداغِها

(ابن المعتز، ١٤١٩: ١٠٣-١٠٤)

إذن لسنا مبالغين إذا قلنا؛ إن هذا الأسلوب القصصي كان موجوداً في الثقافة الفارسية قبل استعماله في شعر ابى نواس، لكنّه أحياه و نقله من الفارسية إلى العربية و استعماله الآخرون مثل الرّودكى السمرقندي أو منوچهرى الدّامغانى كموضوع شعري فارسيّ، رُدّ إليهما.

٢-٣-٤. استعمال صور الخيال

و بما أنّ كلا الشاعرين ينتمي إلى المدرسة المادّية، فتراهما يحرصان على استعمال صور الخيال في الشعر الخمرى، خاصّة فيما يتعلّق بالتشاييه الحسية و ولعلنا لا نُبعد إذا قلنا إنّ هذه التشاييه الحسيّة تدل على أنّهما كانا مشغوفين و مدمنين بالخمر، فصارا في إثرها منغمسين، بحيث لا يبحثان عن الوجود إلّا عن طريق الحواسّ و المادّة كما تدلّ على حدقهما الأدبي في المشايهة بين الحالات و الأشياء يقول ابونواس: إنّها قهوة تفوح رائحتها كالمسك، موطنها «الأنبار» و «هيت»:

وقهوة كالمسك مشمولةٍ مَزلُها «الأنبار» أو «هيت» (مجزوء البسيط)

(ابونواس (الخمریات) ١٩٨٦ : ٧٤)

يقول الرودكي: إنها في الكأس، تبدو صافية مثل ماء الورد، أو تراها تبدو هنيئة مثل حلو التوم لمن أرق:

به پاکی گویی اندر جام مانند گلابستی

به خوشی گویی اندر دیده‌ی بی‌خواب، خوابستی (الهزج)

(رودكي سمرقندی، ١٣٣٦، (الباب الأول): ٥١١ / ٥٠٤)

إن تأثر الرودكي بسلفه، ابي نواس، يبدو جلياً في شعره كما أن معرفة الرودكي الكاملة بالأدب العربي - نظم كليلة و دمنة من النص العربي إلى الشعر الفارسي (آذرنوش، ١٣٨٥: ٢٧٣) - تعزز هذا الاعتقاد والافتراض، كذلك المساحة الزمنية بين الشعراء لا تنفي هذه الفرضية. فقد توفي ابونواس سنة ١٩٨ هـ، فيما ولد الرودكي في اواسط القرن الثالث و توفي سنة ٣١٩ هـ. و كان ديوان ابي نواس حينها قد وصل إلى الشعراء و لعله قد طالعه بثقافته الشعرية الواسعة.

مع ذلك لا بد من الاعتراف بأن بعض المضامين الشعرية لدى الرودكي يعدّ من باب «التوارد الخاطر» و وقوعه تحت تأثير تجربة مشابهة بالنسبة إلى ابي نواس في حضورهما ببلاط الأمراء والخلفاء والعيش في البلاط و القصور والرّفاه. وأضيف إلى ذلك أن الرودكي كان شاعراً مبدعاً و مبتكراً بين أقرانه من شعراء عصره و شعره كان معروفاً لدى الفرس و العرب و الدليل على ذلك هو مايشير إليه «الثعالبي» في نقل ابياته إلى العربية؛

این جهان را نگر به چشم خرد نه به آن چشمی کاندر او نگری

کشتی ساز از نکوکاری تا بدان کشتی از جهان گذری (الخفيف)

و هذا هو «ابوالحسن بن المؤمل» يترجم في ذلك القرن، هذين البيتين إلى العربية هكذا:

تَصَوَّرِ الدُّنْيَا بَعَيْنِ الحِجَا لَا بِأَلْتِي أَنْ بِهَا تَنْظُرُ

الدَّهْرُ بَحْرٌ فَاتَّخِذْ زَوْرَقًا مِنْ عَمَلِ الخَيْرِ بِهَا تَعْبُرُ (السريع)

(آذرنوش، ١٣٨٥: ٢٠٨؛ نقلا عن: الثعالبي، يتيمة، ٩/٤ - ١٣٨)

النتيجة

١. الملاحظ في شعر هؤلاء الخمري يجد أسباباً مشتركة لترعتهم الخمرية منها ما يتّصل بالعوامل النفسانية و منها ما يعود إلى الظروف الاجتماعية و الثقافية و السياسية.
٢. المتأمل في أشعارهما الخمرية يرى فيها المضامين و الأساليب المشتركة و أحياناً المتباينة، بحيث يكاد أن يصل إلى هذا الاستنتاج عن تحوّل الخمر هكذا؛ من العربية إلى الفارسية. و هذا لا يعني؛ ليس للفرس دور فى تطوّر هذا الشّعْر، بل الثقافة الفارسية تعدّ المصدر الأساسي لنضج هذه المضامين الشّعْرية.
٣. يبدو أنّ الرّودكي السمرقندي قد اقتبس عن أبي نواس بعض المعانى الخمرية و أساليبها لكنّه قد ابتدع و ابتكر فيها و ألبس عليها ثوباً جديداً فارسياً يمتاز بالبراعة و السّلاسة.
٤. إنّ أهمّ مظاهر الخمر في شعرهما هي: «مظهر الوصف» الذي يعرّضان فيه لنقل ما يشخصان في حواسهما عن الخمرة و «مظهر الوجدانية» التي يعبران فيها عن انفعالاتهما و تصرفاتهما. و الفضل في كلاهما يرجع إلى أبي نواس.
٥. خمريتهما مرآة صافية تنعكس عليها ذاتيتهما الماحنة كما أنّها تعدّ أصدق صورة لتعريف أوضاعهما الاجتماعية و الثقافية و السياسية، بحيث نطلع في شعرهما على مبلغ ما وصل إليه مجتمعهما من استهتار بالمعاصي و استهزاء من الدين بسبب انتشار البدع و المجنون.
٦. إنّهما يجتاران من حيث الشكل لخمريتهما بحور الموسيقى الرّاقصة المغناة كمجزوء الكامل و الوافر و البسيط و المضارع و الهزج و الخفيف و غيرها من البحور ذات النغم الموسيقى التي تناسب المعانى الخمرية.
٧. إنّهما يتدرّجان في «تفكيرهما» نحو الخمرة حتّى يصلان إلى «تعظيمها» و «تقديسها» و هذا لا يعني؛ أنّهما «مفكران» أو «فيلسوفان» بل هما فنّانان، فوصولهما الأغلب إلى عبادة الخمر جاء عن طريق الانفعال الفنّي.
٨. كلاهما ينتميان إلى «المدرسة البرناسية»؛ لأنّهما ينظران إلى الأدب في إطار «الفنّ للفنّ» محاولين أن يجعلوا الفنّ وسيلة للتعبير عن الذات و لهذا نجد أنّ طبيعة الخمرة عندهما جاءت حافلة بالألوان و الأشكال و الصّور خاصّة حينما ينقلانها نقلاً حياً متحرّكاً.

الهوامش

١- (المفردات: الجران: مقدّم عنق البعير/ البان: شجر واحدته «بانة» و هسى شجرة معتدلة القوام يشبه بما القدّ لطلوله/ العذاء: الفتاة البكر والمراد هنا الخمر المحفوظة فى الدنّ قبل فضّ ختامه/ افترع(البكر): أزال بكارهما/ استامها: طلب أسأل تعيين ثمنها/ وسمتها: جعلت لها علامة/ الضّروع: جمع ضرع و هو مدّر اللّبن للشاة والبقر/ الدّنان: جمع الدنّ و هو راقسود الخمر العظيم/ تصدى لها: تعرّض لها/ الخواتيم: ج ختام و هو الطّين/ فضّ الختام: أزاله/ الجونة: الخاية المطلية/ الصّدوف: الكثير الأعراض أو الصّدّ / الأصداع: جمع الصّدغ و هو ما بين العين و الأذن / مضمّخة بالزعفران: مطليّة والزعفران: الطّيب).

المصادر

الف. الكتب

١. آذرنوش، آذرتاش (١٣٨٥)؛ چالش میان فارسی و عربی (سدهای نخست)، چاپ اول، تهران، نشرنی.
٢. ابن المعتز، عبدالله بن المعتز المتوكل (١٤١٩)؛ طبقات الشعراء المحدثين، تحقيق؛ عمر فاروق الطباع، الطبعة الأولى، بيروت، دار الأرقم.
٣. ----- (بدون تاريخ)؛ طبقات الشعراء، تحقيق؛ عبدالستار أحمد فراج، الطبعة الرابعة، مصر، دارالمعارف.
٤. ابن منظور، جمال الدين محمد بن محمد بن مكرم (١٤١٠)؛ أبو نواس في تاريخه و شعره، تحقيق؛ عمر ابونصر، بيروت، دارالجيل.
٥. ابونواس، حسن بن هاني (١٩٨٦)؛ ديوان ابي نواس (الخمريات و الغزليات)، تحقيق؛ على نجيب عطوي، الطبعة الأولى، بيروت، دار و مكتبة الهلال.
٦. اسماعيل، عزالدين (١٩٨٨)؛ التفسير النفسي للأدب، الطبعة الرابعة، بيروت، دارالعودة.
٧. امامي، نصرالله (١٣٦٧)؛ منوچهری دامغانی: ادوار زندگی و آفرینش های هنری، چاپ اول، دانشگاه شهید چمران اهواز.
٨. البستاني، بطرس (١٩٨٦)؛ أدباء العرب في الأعصر العباسية (ج٢)، بيروت، دارنظير عبود.
٩. حاوي، ايليا (بدون تاريخ)؛ فنّ الشعر الخمري و تطوره عند العرب، بيروت، دارالثقافة.
١٠. حسين، طه (بدون تاريخ)؛ حديث الأربعاء (ج٢) الطبعة الحادية عشرة، مصر، دارالمعارف.
١١. حسين، محمد محمد (١٩٧٢)؛ أساليب الصناعة في شعر الخمر و الأسفار بين الأعشى و الجاهليين، بيروت، دارالنهضة العربية.
١٢. حقيقت، عبدالرفيع (١٣٨١)؛ شاعران بزرگ ايران از رودکی تا بهار، چاپ اول، تهران، کومش.
١٣. خفاجي، محمد عبدالمنعم (١٩٨٥)؛ الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، القاهرة، دارالمعارف.
١٤. رودکی سمرقندی، ابو عبدالله جعفر بن محمد (١٣٣٦)؛ محیط زندگی، احوال و اشعار ابو عبدا... جعفر بن محمد رودکی سمرقندی، تصحيح؛ سعيد نفیسی، چاپ اول، کتابخانه ترقی.
١٥. زرین کوب، عبدالحسین (١٣٦٢)؛ ارزش میراث صوفیه، چاپ سوم، تهران، امیرکبیر.
١٦. زینی وند، تورج (١٣٨٥)؛ المدارس الخمرية في الشعر العربي و الفارسی، رسالة الدكتوراه، جامعة اصفهان.
١٧. سرباز، مظفر (١٣٧٣)؛ رودکی، چاپ اول، تهران، شرکت توسعه کتابخانه های ایران.
١٨. سمرقندی؛ (١٣٧٣)؛ دیوان رودکی، تصحيح؛ جهانگیر منصور، تهران، ناهید.

١٩. صدقي، عبدالرحمن (١٩٥٧)؛ ألحان ألحان: ابونواس في حياته اللاهيه، مصر، دار المعارف.
٢٠. صفاء، ذبيح الله (١٣٧١)؛ تاريخ ادبيات در ايران، چاپ پانزدهم، تهران، فردوس.
٢١. ضيف، شوقي (بدون تاريخ)؛ تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، مصر، دارالمعارف.
٢٢. عبدالله الحشاني، امينه (٢٠٠٦)؛ الدراسات التقديية الحديثة عن ابى نواس، طرابلس، مجلس الثقافة العام.
٢٣. العقاد، عباس محمود (١٣٣٨)؛ ابونواس، الحسن بن هاني، الطبعة الأولى، بيروت، دارالكتاب العربي.
٢٤. فروزانفر، بديع الزمان (١٣٥٠)؛ سخن و سخنوران، چاپ دوم، تهران، خوارزمي.
٢٥. فروغ، عمر (١٤٠٨)؛ ابونواس؛ شاعر هارون الرشيد و الأمين، الطبعة الأولى، بيروت، دارالكتاب العربي.
٢٦. الكك، ويكتور (بدون تاريخ)؛ تأثير فرهنگ عرب در اشعار منوچهرى دامغانى، بيروت، دارالمشرق.
٢٧. مبارک، زكى (١٩٣٦)؛ الموازنة بين الشعراء، الطبعة الثانية، بيروت، المكتبة العصرية.
٢٨. المقدسي، أنيس (١٩٨٩)؛ أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، الطبعة السابعة عشرة، بيروت، دارالعلم للملايين.
٢٩. منوچهرى دامغانى، احمد بن قوص بن احمد (١٣٦٣)؛ ديوان منوچهرى دامغانى، تصحيح؛ محمد دبیرسباقى، چاپ پنجم، تهران، زوار.
٣٠. ندا، طه (١٩٩١)؛ الأدب المقارن، بيروت، دار النهضة.
٣١. نعماني، شبلى (١٣٢٧)؛ شعر العجم يا تاريخ شعرا و ادبيات ايران، ترجمه؛ محمد تقى فخرداعى گيلاني، تهران، رنگين.
٣٢. نورالدين، حسن (٢٠٠٠)؛ موسوعة أمراء الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي، الطبعة الأولى، بيروت، رشاد برس.
٣٣. النويهي، محمد (١٩٧٠)؛ نفسية ابى نواس، الطبعة الثانية، بيروت، دارالفكر.
٣٤. هداره، محمد مصطفى (١٣٨٩)؛ اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، الطبعة الثانية، بيروت، دارالمعارف.
٣٥. هلال، محمد غنيمي (بدون التاريخ)؛ دراسات و نماذج في مذاهب الشعر و نقده، نخصة مصر.
- ب. المجالات**
٣٦. آذرنوش، آذرتاش (١٣٧٣)؛ شعر ابونواس، دائرة المعارف بزرگ اسلامى، ج٦، چاپ اول، تهران، مركز دائرة المعارف بزرگ اسلامى، صص ٣٤١-٣٦٨.

٣٧. ----- (١٣٨٥)؛ ابوالشّيخ، دائرة المعارف بزرگ اسلامی، ج٥، چاپ سوم، تهران، مرکز دائرة المعارف بزرگ اسلامی، صص ٦٠١-٦٠٤.
٣٨. جمعه، حسین (٢٠٠٥)؛ من القواسم المشتركة بين الأدبين العربي و الفارسي، مجلة التراث العربي، العدد (٩٧)، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.
٣٩. حجازی، أحمد عبدالمعطى (١٩٧٧)؛ محاولة فى قراءة ابى نواس: الزمن والخمسة، مجلة الآداب، بيروت، السنة ٢٥، العددان، ١/٢، يناير و فبراير، ص ١٠-١٢، صص ٦٥-٧٠.
٤٠. الشهابي، مصطفى (١٩٦٠)؛ السّقاة والسّاقيات فى خمریات ابى نواس، مجلة الأديب، بيروت، السنة ١٩، صص ٢٧-٣٠.
٤١. فاتحي نژاد، عنایت ا... (١٣٧٣)؛ زندگى و آراء ابونواس، دائرة المعارف بزرگ اسلامی، ج٦، چاپ اول، تهران، مرکز دائرة المعارف بزرگ اسلامی، صص ٣٥١-٣٦٨.
٤٢. گنابادی، محمد پروین (١٣٥٦)؛ میگسارى و گل در ايران باستان، مجله باستان، گزینة مقاله، تهران، صص ١٤٩-١٥٤.
٤٣. لسان، حسین (١٣٥٣)؛ باده افشانی در شعر فارسی و منشأ آن، چهارمین کنگره تحقیقات ایرانی شماره ١، صص ١٥٥-١٧٠.
٤٤. ----- (١٣٥٥)؛ شراب زرین برگور یاران در ادب عربی، مجله دانشکده ادبیات و علوم انسانی، دانشگاه تهران، شماره ١، صص ١٣١-١٣٦.
٤٥. ----- (١٣٥٥)؛ شعر و شراب، مجله یغما، سال (٢٩)، شماره اول، (٣٣٣): صص ٤٤-٥٣.
٤٦. نجاریان، محمد رضا و محمد کاظم کهدویی (١٣٩٠)؛ نگاه شاعرانه رودکی و ابونواس به خمریات، نشریه ادبیات تطبیقی، دانشگاه شهید باهنر کرمان، سال دوم، دوره ١ جدید، شماره چهارم، صص ٢٥٩-٢٨٠.
٤٧. هانیه، بیتر (١٩٩٦)؛ الخمر و الموت، تأملات فی إحدى موضوعات الشّعر العربي، ترجمة؛ محمد فؤاد نعناع، مجلة الموقف الأدبي، العدد (٣٠٢)، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.

فصلنامه نقد و ادبيات تطبيقى (پژوهش‌هاى زبان و ادبيات عربى)
دانشكده‌ى ادبيات و علوم انسانى - دانشگاه رازى كرمانشاه
سال اول، شماره‌ى ۴، زمستان ۱۳۹۰ هـ.ش / ۱۴۳۳ هـ.ق / ۲۰۱۲ م

بررسى تطبيقى باده سرايى مادى در شعر ابونواس و رودكى*

دکتر تورج زینى وند

استاديار گروه زبان و ادبيات عربى، دانشگاه رازى - کرمانشاه

چکیده

اين پژوهش، براساس مکتب فرانسوى ادبيات تطبيقى که بر پيوند تاريخى و جريان تأثير و تأثر تأکيد دارد، به بررسى و تحليل تطبيقى بخش اندکى از پيوندهاى فرهنگ عربى و فارسى با مطالعه موردى شعر ابونواس و رودكى مى‌پردازد.

يافته اساسى اين مقاله نيز در اين است که رودكى اگر چه در مضمون‌هاى باده سرايى، متأثر از ابونواس است اما در اين غرض شعرى به نوآورى نيز پرداخته است و شعرهاى وي به روانى و شيوايى ممتاز است.

افزودن بر اين، خاستگاه و ريشه‌ى اين غرض شعرى در شعر اين دو شاعر، همان فرهنگ و تمدن ايرانى است؛ چرا که تبار هر دو ايرانى است. و به نظر مى‌رسد شعر عربى با وجود پيشينه‌ى کهنى که در اين مضمون دارد، بيشتر نقش واسطه و تکاملى را ايفا نموده است. واژگان کلیدى: ابونواس، رودكى، باده سرايى مادى، شعر عربى و فارسى، ادبيات تطبيقى.

* تاريخ دريافت: ۱۳۹۰/۷/۲۰ تاريخ پذيرش: ۱۳۹۰/۱۱/۲۵

